

في نور محمد فاطمة الزهراء

وكان مَثَل حمزة ومَثَل أبي جهل حينئذ من الهداية والعماية كمثل من قال فيهما القرآن: (أَوَ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [478] وصدق الله. * * * أمّا الرقعة البشرية للإسلام فقد بدأ ينحسر عنها الجمود، على غير ما حسب أصحاب الأوثان، كان عدوانهم الطاغى على المسلمين أشبه شيء بحجر تلقيه في بركة آسنة، فيتحرّك ماؤها حلقات حلقات، نافضاً عن سطحه وغوره موات الركود. رويداً رويداً، وعلى هون، توالى تيارات الدخول في دين الله، بقدر نشاط حركات النكال كان نشاط حركات الإقبال. وكان محمد - في هذه الفترة المتقدّمة من مراحل الكفاح - حريصاً بأن يوفّر لتلك البراعم المؤمنة من راحة النفس، وقرار البال، ما يهيئ لهم القدرة على التفتّح والازدهار والإثمار، وأن يجنّبهم شرّ الاستئصال، وأن يحفظ عليهم الحياة، إذ هم النواة التي لن تلبث أن تصبح شجرةً فارعة الطول، ضاربةً بجذورها في الأعماق، غليظة الساق، فينانة [479] الغصون، كثيفة الأوراق، تؤتي أكلها بعد حين، وتنشر ظلّها على العالمين. أفلا ينأى بهم إذاً عن محن خليقة بأن تورد لهم موارد التلف، وتوقعهم في فتنة تهزّ خطاهم على مدرجة الإيمان؟ بلى قد فعل، وما كان له إلاّ أن يفعل، وإنّهم لبشر، فالضعف طبيعة إنسانية. وليس الناس جميعاً في صلابة العزم، وقوة الإصرار، والصبر على اللاّواء [480] بمرتبة سواء.